اللون بين الإشارة والرمز في تفسير القران الكريم
دراسة سيميائية تحليلية

د٠ إيمان عبدالله الشوشان (*)

المقدمة:

تقوم هذه الدراسة على أسس علم العلامات أو السيمياء أو السيميولوجيا بوصفه مجالا معرفيا ينتمي لعلم اللسانيات، وتدرس الألفاظ الدالة على أسماء الألوان وصفاتها من حيث كونها عناصر لغوية، تحكمها علاقات صرفية في واحد من اتجاهين سيميائيين: العامودي والأفقي– وهو مجال الدرس هنا – ويعني به العلاقات السياقية، حيث تتصل العناصر اللغوية فيما بينها داخل بناء محدد صرفيا وصوتيا وتنتج تراكيب بحيث تكون العلامة بين الوحدات الصرفية، وهي ذات طابع حضوري (١).

مشكلة البحث:

الرمز والإشارة مصطلحان سيميائيان، يصعب التمييز بينهما من وجهة تطبيقية، واللون بوصفه علامة سيميائية يشكل محور درس من حيث دوره الرمزي والإشاري بشكل عام، ودوره في النص القرآني بشكل خاص .

أهمية البحث:

تتناول هذه الدراسة مفهوم سيميائي محدد وتحاول تطبيقه على نص تناوبت عليه الشروح والتفاسير، بحيث يُدرس من وجهة علمية مختلفة، على وعي بمنهجية البحث في السيميائيات من جهة وما يتناسب مع خصوصية اللفظ القرآني

(*) أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة القصيم.

من جهة أخرى، والوقوف على مسألة مهمة في البحث السيميائي وهي التمييز بين مفهومي الرمز والإشارة وتطبيقاتها على النصوص، إذ تعتمد كثير من الدراسات السابقة في دراسة ألفاظ اللون في القرآن الكريم على مبادئ الدرس الدلالي أو البلاغي، أو تتناولها من حيث كونها علامة سيميائية دون التمييز بين دورها الرمزي والإشاري في النص .

منهج البحث:

استقرائي، تحليلي .

تقسيمات البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تناولت المقدمة مشكلة البحث، وأهميته، ومنهجة، وتفسيماته.

وتناول المبحث الأول لفظ (السيمياء) بين المصطلح والمفهوم، والتمييز بين الإشارة والرمز وعلاقته باللون.

وتناول المبحث الثانى الألفاظ الدالة على أسماء الألوان في القرآن الكريم.

وتناول المبحث الثالث صفات الألوان بين الرمز والإشارة.

وتناولت الخاتمة أهم نتائج البحث.

وختم البحث بقائمة المصادر والمراجع التى اعتمد عليها.

**

المبحث الأول

مفاهيم أساسية

١-السيمياء بين المصطلح والمفهوم:

علم العلامات أو العلاماتية أو السيمياء أو السيميولوجيا مصطلحات متعددة لمجال معرفي واحد، وهي ليست جديدة كليا على الثقافة العربية، على مستوى اللفظ وما يشير إليه من معنى، إذ تدور معانيه حول الأثر والعلامة، ووردت في القران الكريم بهذا المعنى، أما على مستوى المفاهيم فقد درس علماء المسلمين العلامات تحت مظلة الدلالة واعتنوا بها عناية فائقة، ومنهم على سبيل المثال الفارابي، الغزالي، الجرجاني وغيرهم(٢)، و في العلوم المعاصرة يحيل الحديث عن هذه المفاهيم إلى التمييز بين مصطلحي اللغة واللسان عند سوسير saussure إذ ينظر للسان على أنه مجموعة من العلامات المتفق عليها من قبل أفراد المجتمع وتحمل مفاهيم وتصورات(٣)، والسيميائيات عنده علم يدرس العلامات داخل الحياة الاجتماعية، سواء كانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية، وهذا يعني أن اللسانيات بالنسبة للسيميائيات جزء محدد وله ضوابطه(٤)، ومهمة علم اللسانيات فيه هي البحث عما يجعل النسق اللغوي نسقا منفصلا عن الأنساق السيميائية الأخرى، وبالرغم من أن اللسانيات جزء من السيميائيات إلا أنها جزء مركزي(٥). حاول بيرس price وضع أسس نظرية منهجية تقدم تفسيرا علميا لنظام العلامات تحت مظلة اللسانيات(٦)، أما موريس Morris فقد أسهم في تمييز الدال والمدلول من جهة، والتمييز بين الرمز والإشارة من جهة أخرى، وإن كان تمييزا يقوم على مبادئ علم النفس السلوكي وعلى ثنائية المثير والاستجابة، وله دور في تحليل مكونات العلامة إلى أبعاد ثلاثة: البعد الدلالي، البعد التركيبي، البعد التداولي (٧).

ومن منطلق سيميائي تكون العلامة أحد أطراف السيرورة الدلالية، إذ تتحول الوقائع في العالم الخارجي إلى مفاهيم من خلالها، وهي تقوم على ثلاث ركائز: المرجع، المفهوم، علامة، وتمر بعمليتين هما: تمثيل المرجع، مستوى التطابق بين العلامة والمرجع(٨)، ومما ينبغي ذكره أن العلامة اللغوية كيان مزدوج يتألف من مقاطع صوتية مرتبطة بدلالة محددة، ولا يمكن فصل الجانب الصوتي عن المعنوي فيها، والعناصر اللغوية فيها ذات قيم تحددها العلاقات بينها، وهذه العلاقات تسير في اتجاهين: الأفقي وهو اتجاه العلاقات السياقية، حيث تعطي العلاقات بين العناصر اللغوية صرفيات محددة وتنتج تراكيب، والاتجاه الآخر عمودي وهو يقوم على العلاقات الاستبدالية، والعلاقات السياقية ذات طابع حضوري، بينما تكون العلاقات الاستبدالية ذات طابع ضمني (٩).

وتتميز العلامة بسمتين أساسيتين: الاعتباطية، والخطية، وتعني الاعتباطية أن الدال لا يرتبط بالمدلول ارتباطا سببيا، لكن هذه الاعتباطية قد تكون مطلقة أو نسبية، أما الخطية فتعني أن المادة الصوتية تقدم على شكل سلاسل، وهذا يحتم ترتيباً زمنيًّا لا يسمح بالتداخل، وله أهمية بالغة في التحليل اللغوي؛ لأنه يقوم على العلاقات السياقية (١٠)؛ ولذا فضلت أن تكون المرتكز في البحث الحالي، إضافة إلى سمتها الحضورية .

وللعلامة أنواع ثلاثة: الرمز symbole، إشارة signe، أيقونة icon، والتمييز بينها يقوم على مفهوم اللسان من جهة، واعتباطية العلامة من جهة أخرى، إذ يراه سوسير نظاماً من الإشارات لاعتباطية العلاقة فيها، بينما يراه بيرس نظامًا من الرموز حيث تتيح القاعدة العرفية بناء علاقات فيها نوع من السببية، ولهذا أهمية في مجال التحليل السيميائي، إذ تنحصر الإشارة في إطار محدود، بينما يسمح الرمز لتعدد المدلولات بتعدد السياقات التي يرد فيها؛ لذا فهو

أوسع، ويتميز أيضا بارتباطه بالعامل النفسي وسياق الموقف لتحديد دلالته، أما الرمز فهو أكثر ثباتا، إذ يرتبط بدلالة متفق عليها اجتماعيا لا تختلف باختلاف المواقف أو العوامل النفسية، فالرمز يرتبط بالعامل النفسي، بينما ترتبط الإشارة بالعامل المادي [١١]، وعلى ضوء هذا التمييز يقوم البحث الحالي .

٢-اللون- التمييز بين الإشارة والرمز وعلاقته باللون:

أعرض للون، ألفاظه وصفاته الواردة في القرآن الكريم والمتناولة بالشرح والتفصيل سابقا، على ضوء المبادئ السيميائية، وعلى أساس التمييز بين مفهومي الرمز والإشارة من جهة، وعلى ضوء الشرح اللغوي والبياني من جهة أخرى، مع الأخذ بالاعتبار بالجوانب الفيزيائية التي تحكم مفهوم اللون وما يتصل بها من عمليات إجرائية، في محاولة لبناء تصور حول دور تلك الألفاظ سيميائيا .

واللون هو ذاك التأثير الفسيولوجي الناتج عن الأثر الذي يحدث في شبكية العين من استقبال الضوء المنعكس عن سطح عنصر معين، سواء كان ناتجاً عن مادة صبغية ملونة، أو عن ضوء ملون، فهو إحساس وليس له وجود خارج الجهاز العصبي للإنسان، ومن الناحية الفيزيائية يعد كل سطح أو شكل بلا لون، فإذا سلط عليه شعاع أبيض كشعاع الشمس مثلاً فإن السطح يمتص موجاتِ إشعاعية حسب تركيبه الذري ويعكس أخرى، هذه الموجات المعكوسة هي التي تراها العين، ولونها يبدو وكأنه ينبع من ذات الشكل، ويمثل لون سطحه، وبهذا لا يمكن رؤية اللون الحقيقي لسطح ما إلا تحت أشعة بيضاء، فتحت أشعة صفراء يبدو وينحني باتجاه اللون الأصفر، وتحت أشعة حمراء ينحني باتجاه اللون الأحمر وهكذا [١٢].

والإدراك الحسي للون ناجم عن ظواهر ثلاث: ظاهرة فيزيائية، وظاهرة فيزيولوجية، وظاهرة نفسية؛ فاللون هو ما نراه عندما تقوم الملونات بتعديل الضوء

فيزيائيا بحيث تراه العين البشرية (عملية استجابة)، ويترجم في الدماغ (عملية إدراك) وهي التي يدرسها علم النفس؛ واللون هو أثر فسيولوجي ينتج في شبكية العين، حيث تقوم الخلايا المخروطية بتحليل اللون، سواء أكان هذا اللون ناتجاً عن المادة الصبغية أو عن الضوء الملون [١٣].

واللون عنصر سيميائي ونسق إبداعي فعّال يؤدي وظيفة تعبيرية وعلامية أساسية، وهو يرتبط بالأداء البصري والفيزيائي من جهة، وبالمخزون الثقافي والاجتماعي والفكري من جهة أخرى، حيث تكشف الألوان –مفردة أو مجتمعة – عن دلالات ومعانٍ متعددة ظاهرة وباطنة [١٤].

والعلاقة بين اللغة واللون شديدة الصلة بمباحث اللغة والفكر، وقد أشار إليها سابير في بحث بعنوان (مكانة اللغويات كعلم) عام ١٩٢٨م؛ إذ يرى أنه من الصعب فهم إطار ثقافي معين بعيداً عن الرمز.

ونوقشت هذه القضية فيما بعد لتكشف أن الأفراد الذين يُعرض عليهم طيف من الألوان يسمون أقساماً منها بمصطلحات مفردة، حيث يجمعون على سبيل المثال ظلالاً محددة من اللون الرمادي تحت الرمادي، وأن تقسيم الألوان يختلف وفقاً للأعراف والتقاليد، إلا أن هناك توافقا كبيرًا في التمييز بين الدرجات؛ فمثلاً يمكن تمييز اللون الأكثر صفرة من الأصفر في الموقع نفسه، ولكن الاختلاف في حدود نطاق كل لون من الألوان المميزة [١٥].

وتختلف آراء العلماء حول تسمية الألوان وتطورها وتقسيمها عند الشعوب، ولهم فيها ثلاثة مذاهب:

الأوَّل: ينص على أن تقسيم مجموعات الطيف عشوائياً، إذ إن تصنيف الألوان وتسميتها عملية لغوية صرفة.

الثاني: وهو يتفق مع الرأي الأوَّل في أن العلمية عملية لغوية صرفية، وليس لها نظام عام تخضع له، لكن يخضع وجود اللفظ أو عدم وجوده للأهمية الوظيفية للألوان، والحاجة إلى استعماله، وهذا يتوقف على نوع البيئة والموجودات الطبيعية فيها، وعامل الثقافة، والتقدم الحضاري.

الثالث: ينص على أن تصنيف الألوان وتسميتها قام على أساس الإدراك الحسي؛ لذا فهو بعيد كل البعد عن العشوائية [١٦].

وقد شغل العلماء بتقسيم الألوان وتصنيفها، فمنها ما هو أساس؛ كالأبيض والأسود، والأحمر والأصفر والأزرق، والبني والأرجواني والوردي والبرتقالي، والرمادي، ومنها ما هو ثانوي، ويستثنى منها الأبيض، ويضاف إليها البنفسجي[١٧]، منها ما ذكر في كتاب (الملمع) [١٨]، ومنها ورد في كتاب (فقه اللغة وسر العربية) في الباب الثالث عشر في ضروب الألوان والآثار، فبدأ بالأبيض، ويفصل القول في درجاته، وصفاته، وأوصاف ما يكون فيه، ثم ينتقل إلى الأسود فيفصل فيه، ثم الأحمر، وفي هذا كله يقف على الاستعارات اللازمة في صفات الألوان وتوكيد صفات اللون؛ بل وتبلغ الدقة مبلغها حين يفصل القول في الألوان المتقاربة، يقول: "الصهبة: حُمرة تضرب إلى بياض. الكهبة: صُفْرة تضرب إلى حُمرة. القُهْبَة: سوادٌ يضرب إلى خُضْرة. الدكنة: لون إلى الغُبرة بين الحمرة والسواد. الكُمْدَة: لون يبقى أثره ويزول صفاؤه. يُقال: أكمد القصَّارُ الثوب، إذا لم ينق بياضه. الشربة: بياض مشرَبُ لِحُمْرَة. الصُّحْرَة: غُبرة فيها حُمْرة. الصُّحْمَة: سواد إلى صفرة. الدُّبْسَة: بين السواد والحمرة. الصَّمْرَة: بين البياض والغبرة. الطلسة بين السواد والغبرة[١٩]، أما ابن سيده في (المخصص) فقد طرحها بطريقة توحي بالبعد الدلالي لألفاظ خلال تتبع مسارات استعمالها في العربية،

يقول: "للألوان الثلاثة: أحمر، أسود، وأبيض أسماء مستعملة قريبة، وأخر بالإضافة إليها وحشية غريبة، لا تدور في اللغة مدارها ولا تستمر استمرارها. ألا ترى قولنا : أبيض، وأحمر، وأسود، المشهور، وقولنا في الأبيض: ناصع، وفي الأحمر: قُمَّد، وفي الأسود: غربيب من الأفراد التي رفعت عن الابتذال، وأودعت صواناً في قلة الاستعمال، مع أنك لا تجدها في غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة، يقولون: أبيض ناصع، وأحمر قمَّد. وإن كان قد يستعمل مفردا؛ كقوله: بالحق الذي هو ناصع، وكقوله: وبقمَّد كسائل الجريال "[٢٠] .

وتتميز ألفاظ الألوان في العربية بأن أوزانها الصرفية توجه بوضوح دلالتها؛ لذا فإن علماء العربية لم يكتفوا بالجهود الوصفية في إطار الحديث عن ألفاظ الألوان، مما يُهيئ لدراستها دراسة سيميائية، بالاعتماد على العلاقات السياقية.

**

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على أسماء الألوان

بداية يجب الوقوف على معنى كلمة (لون)، ومن ثم يمكن تتبع الألفاظ الدالة على أسماء الألوان وبيان معناها اللغوي ودورها السيميائي، إذ ترد كلمة (لون) في المعاجم في جذر –ل – و – ن بمعنى حقيقي معجمي يدل على الهيئة والنوع كالحمرة والسواد، ومعنى مجازي يدل على التغير والتبدل(٢١)، ورد في مقاييس اللغة: "لون اللام والواو والنون كلمة واحدة، وهي سحنة الشيء من ذلك اللون: لون الشيء كالحمرة، والسواد، ويقال: تلون فلان: اختلفت أخلاقه، واللون جنس من التمر، واللينة النخلة منه، وأصل الياء فيها واو، قال الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ (الحشر:٥) (٢٢)، ويكون منه فعل مطاوعة (لونته فتلوّن) مثله في ذلك الأفعال الدالة على الجبلة والطبع، وقد يكون لون على وزن (فعّل) ؛ لأنه يقبل تكرير الفعل (٢٣)، أما تلوَّن فهو على وزن (تفعّل) "والأغلب في (تفعّل) معنى صيرورة الشيء ذا أصله كتأهل، وتألم وهو مطاوع (فعَّل) (٢٤).

وفي مفردات ألفاظ القرآن: (اللون معروف وينطوي على الأبيض والأسود وما يُركب منهما) (٢٥) ، يشير إلى أن الألوان المختلفة هي نتاج تركيب الأسود والأبيض، هذا يشرع الأبواب لتكوين ألوان جديدة، ليس بعيداً عما يدور في نظريات العصر الحديث؛ إذ ترى اللغات تسير في تتابع ثابت يعكس مراحل تاريخية يجب أن تمرَّ بها أي لغة خلال نمو معجمها اللوني الأساسي(٢٦)، في (عمدة الحفاظ) كان الأمر أكثر تضييقاً في مسألة الألوان "وأصل الألوان البياض؛ لأن كل لون يطرأ عليه" (٢٧)؛ لذا جاز أن يصاغ التفضيل من السواد والبياض دون سائر الألوان، وهو مذهب الكوفيين (٢٨) .

وقد وردت كلمة (لون) في صيغة المفرد مرتين في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ(٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ(٦٩)﴾ (البقرة: ٦٧ – ٦٩) .

ذكرت كلمة (الألوان) في صيغة الجمع سبع مرات في القرآن، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ(٢٢)﴾ (الروم:٢٢)، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ(٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(٢٨)﴾ (فاطر: ٢٧ – ٢٨). يُعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع [٢٩].

وتتكرر كلمة (لون) بدلالتها على التنوع والاختلاف في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(٢١)﴾ (الزمر: ٢١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٣)، فكلمة (ألوان) دليل على الجنس والنوع لا على حقيقة اللون، أما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٩) فالألوان هنا تعني حقيقة اللون، فمنه

الأبيض، والأحمر وغيره؛ لأن العسل جنس واحد من حيث خصائصه العامة، ثم يكون الاختلاف في لونه وفضل بعض أنواعه على بعض .

فاللون قد يرد بمعناه اللغوي بظاهر اللفظ على أنه صفة طبيعية للأشياء التي خلقها الله – عز وجل، كما في سورة البقرة في الحوار بين موسى وقومه، كذلك في وصف العسل، وقد يرد على أنه رمز، فلا يقف عند حدود اللفظ في الدلالة على التعدد اللوني، إنما يشمل الأجناس والأنواع المختلفة، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ (فاطر: ٢٨) وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ٢١.

أمَّا ألفاظ الألوان كالأبيض والأسود، والأصفر وغيرها؛ فقد وردت في آيات عدة في القرآن الكريم، وهي إما أن ترد بلفظ الصفة على وزن أفعل ومؤنثه فعلاء، والجمع منها على وزن (فعل) [٣٠]، أو بوزن اسم الفاعل من الفعل المجرد والمزيد، أو لفظ الفعل الذي قد يكون ثلاثياً مجرداً على وزن (فَعِل يفعل)، ومصدره فعله، ولم يرد على هذه الصيغة في القرآن، أو مزيداً على وزن(أفْعَل) وهي صيغة للفعل اللازم؛ لأن أصل هذا الفعل إنما هو لما يحدث في الفاعل [٣١] أمَّا (افعالٌ) فلم يرد في القرآن الكريم، ومثله (افعوعل)، ويختلف في دلالته عن (افعل) إذ لا يمكن أن يزاد حرف بلا معنى زائد، وقد قيل: أنه يدل على أن اللون لم يخالطه لون آخر [٣٢]، فتعدد الصيغ لم يكن اعتباطياً ،بل كان يتحرى الدقة، وإضافة معنى جديد على مجرد اللون مثل تحدد اللون، أو ثباته، أو لمح معنى التشبيه أو المبالغة. وهذا يحيل إلى دراسة العلاقات السياقية لتعيين رمزية ألفاظ أسماء الألوان [٣٣].

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ البقرة: ١٨٧، والمقصود به هنا بياض النهار وسواد الليل وصفة ذلك البياض أن يكون منتشراً يملأ الطرق[٣٤]، وعلى هذا فإن صفة البياض والسواد في هذه الآية على الحقيقة فهي تعكس جانباً من جوانب الطبيعة، وقوانين الكون مرتبطاً بحكم فقهي؛ فالدقة في الوصف هنا تظهر في إطار دلالة الصيغة الصرفية من خلال الاعتماد على الصفة المشبهة في لفظي اللون الأسود والأبيض؛ لما فيها من دلالة الثبات والاستقرار، رغم أن الحالة الموصوفة لا تأخذ من وقت اليوم الممتد إلا جزءاً يسيراً منه، لكن الثبات هنا لا يرتبط بطول المدة بقدر ما يرتبط بالوضوح، يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾. و في قوله تعالى: ﴿نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠٨، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ(٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) الشعراء: ٣٢ – ٣٣، وقوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ القصص: ٣٢، ترد هذه الآيات في وصف معجزات الرسل، وفي قصة موسى مع فرعون، هذا الوصف المعجز في تحول لون الجلد، كان من خلال استعمال صيغة الصفة المشبهة؛ للدلالة على الثبات لا التحول ، وهنا الدلالة تتجه إلى الزمن، فلو استعمل لفظ الفعل هنا لما وصف المعجزة، فتغير لون جلد الإنسان عبر الوقت أمر لا إعجاز فيه، فقد يقع لمسببات عدة، أما التغير السريع الذي قد يسبق الزمن، ولا يظهر فيه ما يدل على أنه كان في حال آخر ، فهذا هو الإعجاز في القصة بوصفها حقيقة يؤمن بها، وهو أيضاً إعجاز في الوصف يؤكده قوله تعالى: ﴿ لِلنَّاظِرِينَ ﴾، إذ لا يلمح من نظر إليها ما ينبئ عن حال سابق [٣٥].

قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ(٥٧)وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(٥٨) ﴾ (النحل: ٥٧ – ٥٨) ، يصف حال مشركي العرب إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً من كراهته له، امتلأ حزناً وغماً يحاول أن يخفيه فيظهر على ملامح وجهه [٣٦]. واللفظ الدال على اللون في هذه الآية هو اسم فاعل من الفعل اسْوَدَّ، وفي اسم الفاعل من الدلالة على التغير والتحول ما يصف الحال هنا؛ فالحزن والغم حال طارئ عليه بولادة الأنثى.

قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ(٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ(٤٧) ﴾ الصافات: ٤٥ – ٤٧، يعني بالبيضاء الكأس، والبياض صفة للكأس، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف: ٨٤، يعبر الله – عزّ وجل– عن اللون بالفعل لوصف الحالة، فبياض العينين– هنا– طارئ، فاستعمل الفعل على صيغة (أفعل) دلالة على الثبات على الحال الطارئ، إذ أن ما أصابه من العمى لم يكن قبل فقد ولديه، وبعد أن وقع هو أمر من صفته الثبات لولا قدرة الله – عزّ وجل–، يؤكد هذا مجرى الأحداث في قصة يوسف عليه السلام[٣٧]، كما يؤكده قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ في بيان سبب هذه الحالة من جهة، وأنها طارئة لفقد ولديه من جهة أخرى، وكون الفعل على صيغة (أفعل) إشارة إلى ثبات الأمر على ما آل إليه، وأن رجوع البصر بعد عودة يوسف كان أمراً معجزاً.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ(١٠٦)وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(١٠٧)﴾ آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧، تفسير الآية أن أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض فيه وجوه قوم، وتسود وجوه آخرين؛ فأما

الذين اسودت وجوههم فيقال لهم: أجحدتم توحيد الله، فذوقوا العذاب بما جحدتم، أما من ثبت على إيمانه فلم يبدل دينه؛ فلهم جنة الله ورحمته باقون بلا نهاية [٣٨]، فالبياض والسواد، والكفر والإيمان، والعذاب والرحمة، سلسلة من الألفاظ المتقابلة والتي ترسم صورة واضحة لدلالة كل منها في مقابلة الأخرى.

وعلى هذا فإن اللونين الأبيض والأسود يظهران في القرآن الكريم في تقابل يعكس الحقائق الطبعية؛ كونية كانت أم بشرية، وغالباً ما تشير إلى عرض جسدي ناتج عن حال نفسي، كل هذا يمنح لوني البياض والسواد دوراً رمزياً تقابلياً في نصوص اللغة عامة [٣٩]، فالسببية واضحة في علاقة اللون بدلالته هنا مما يؤكد رمزيته .

أنتقل من الأبيض والأسود على أنهما لونان محايدان إلى ألفاظ الألوان المختلفة ودلالتها في آي القرآن الكريم، مراعية ما استطعت ترتيب التدرج اللوني.

يقول تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ(٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ(٣٣)﴾ المرسلات: ٣٢ – ٣٣، وتعني أن الشرر المتطاير من جهنم يكون بحجم الإبل، وقيل: هي حبال السفن، والوصف لها جاء جمعاً على وزن (فُعل)، ولعل مقام الترهيب والوعيد دعا إلى استعمال صيغ الجمع في ﴿ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾، فإن عُني بها الإبل فوصفها بالصفرة يعني السواد، إذ إنه الغالب في وصف العرب للإبل؛ لأن ألوان الإبل السود تضرب إلى الصفرة [٤٠].

قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ البقرة: ٦٩، سبق وناقشت هذه الآية في معرض الحديث عن لفظ (لون)، أمَّا هنا فالحديث عن اللون نفسه، فوصف صفراء جاء على وزن (فعلاء) صيغة مشبهة دالة على الثبوت؛ لأن لون البقرة هو أمر ثابت في خلقها بوصفه صفة لها دون بقية أفراد جنسها، أمَّا حقيقة اللون فيها فهو محل

خلاف، قيل: إن المقصود به شدة السواد، وقيل: هو صفار القرن، والظلف، ورد السواد؛ لأنه ليس مما توصف به البقر، بل هو وصف للإبل، فيقال: إبل صفر، ووصفها بالفقوع ليس وصفاً للسواد، إذ يوصف بالحلوكة [٤١].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الحديد: ٢٠.

يؤدي اللون هنا دورا رمزيا بينا يظهره تسلسل وصف الحالة التي قدمت لضرب المثل، فالله –عز وجل– في هذه الآية يضرب مثلاً للحياة الدنيا بغيث نزل على الأرض فأحياها وزان نباتها، وأعجب من قصرت همته عليها، ثم جاءها أمر الله فأتلفها، فذبل نباتها، واصفرَّ، ويبس، مثلها مثل الحياة الدنيا زاهية لصاحبها حتى إذا أصابه القدر فأخذ منها زينتها أو أخذها منها، ورحل صفر اليدين [٤٢] ، اصفرار النبات واقع تفرضه طبيعة الخلق، وهو في طيات المثل الوارد في الآية وصف لمظهر من مظاهر الطبيعة، إلا أن جانباً رمزياً يبرز في اكتمال المثل، فنمو النبات ونضرته رمز لمتاع الدنيا وزينتها يقابله اصفرار النبات وذبوله، وكأنما يصف حال الدنيا مقبلة ومدبرة.

ويتكرر هذا الوصف في سورة الزمر مسخراً التقابل الدلالي بشكل أكثر وضوحاً، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ٢١.

أشرت إلى هذه الآية في معرض الحديث عن لفظ اللون، وأن اختلاف اللون ما بين أخضر وأحمر وأصفر يلزمه اختلاف الأصناف والأجناس، فحال التعدد

والوفرة يقابله حال الشح والندرة [٤٣]، وبالاعتماد على التقابل الدلالي ذاته يأتي الوصف في هذه الآية: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١)﴾ (الروم: ٥٠ – ٥١).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف: ٤٣

لفظ اللون جاء على صورة الجمع في الصفة ﴿ خُضْرٍ ﴾، والصفة تحمل دلالة الثبات، فلن يكون هناك تدرج في قلة المحصول ينبئ بعده بالجدب فيحتاطون له، فسنون الخصب تعقبها مباشرة سنون الجدب، يظهر التقابل الدلالي في الآيات السابقة جانب الصفرة والشحوب وانقطاع أسباب الحياة منبهاً للنهاية والتحول، أمَّا – هنا – فالتقابل يُظهر جانب الخضرة والحياة لاغتنام أسبابها، ولعل القول برمزية اللون هنا أمر راجح، فالرؤيا وتعبيرها يقوم على الرموز والربط بين الجزئيات[٤٤]، تظهر العلاقات السياقية في الآيات دور اللون الأصفر والأخضر الرمزي، في تدرج يظهر السبب في تحديد تلك الألوان دون غيرها .

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الرحمن: كما كانت دلالة الصفة في وصف الكأس في سورة الصافات دلالة على الثبوت، وأن التغير فيما يخص ما يستعمل في الحياة الدنيا لا يكون في الآخرة لأهل الجنة، فالأخضر لون النعيم، إذ يظهر بوضوح في وصف الجنة، يقول تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الإنسان: ٢١، فثياب أهل الجنة من ديباج رقيق حسن، ومنه قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: ٣١، السندس جمع واحدها

سندسة، وهي ما رقَّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه وثخن [٤٥] ، وعلى هذا فاللون وثباته في الآنية أو الملبس جزئيات لا تفوت الوصف القرآني، تتحد في أدائها دلالة اللون، ودلالة الوزن الصرفي، ومثلها أيضا ، قوله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ الحج: ٦٣ ، مخضرة وهو اللفظ الدال على اللون في هذه الآية جاء على وزن اسم الفاعل من الفعل المزيد اخضر ليحمل دلالة تختلف عنها في الصفة لتوحي بحال آخر كانت عليه الأرض قبل اخضرارها، وهنا تظهر السببية جلية في رمزية اللون الأخضر في وصف الجنة والنعيم .

وحول اللون الأزرق ودلالته قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طه: ١٠٢، ﴿زُرْقًا﴾ يصف حال المشركين في هذا الموضع وما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر[٤٦]، فاللون– هنا– يؤدي دوراً في وصف الطبيعة البشرية، وهو يؤدي دورا إشاريا تغيب فيه العلاقة بين اللون ومسببه، وقد يؤدي اللون دورا وصفيا يعكس حقائق طبيعة كونية، يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر: ٢٧،اللونان الأبيض والأسود يقعان في طرفي الآية وكأنهما يُحددان مدى اللون، ويقع الأحمر بصيغة الجمع في منتصف المدى اللوني[٤٧] ، وهذه الآية تعكس حقيقة كونية مشاهدة تؤدي فيها الألوان دوراً مهماً بوصفها عنصراً من عناصر الطبيعة الكونية، وعنصراً في الوصف القرآني، وقد جاء لفظ اللون الأحمر بصيغة جمع الصفة؛ فحُمْر جمع حمراء؛ لتقوم بدلالة الثبوت في وصف جزء من أكثر عناصر الطبيعة ثبوتاً، بينما دلالة الجمع توحي بتدرج الأحمر وصولاً إلى الأسود في آخر الآية، يؤكد ذلك قوله: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ﴾، وهو أمر تؤكده الطبيعة، إذ تختلف ألوان الجبال، وطبقاتها باختلاف الأرض وما فيها من معادن تؤثر في لونها.

المبحث الثالث

صفات الألوان بين الرمز والإشارة

صفات الألوان في العربية ذات وضع خاص؛ لأنها تتعلق بتحديد درجة اللون في اللغة من جهة، واستعمال اللفظ الدال على اللون على أنه وصف من جهة أخرى ودوره الرمزي أو الإشاري ضمن العلاقات السياقية التي يفرضها النص القرآني، وأمر آخر يخص الألوان الثانوية أو ما يمكن أن يسمى صفات الألوان.

والألوان الثانوية، وصفات الألوان كثيرة، منها الشائع، ومنها ما هو دون ذلك، إذ بلغت ألفاظ الألوان الثانوية في كتب فقه اللغة والمعاجم عدة مئات، بعضها للتعبير عن درجات الألوان، وبعضها لوصف اللون وصفاً مميزاً، وبعضها دلالة على جدة اللون، وعدم ثباته، وبسبب شيوع ألفاظ الألوان واستعمالها وصفا للون آخر، واستعمال كليهما على أنها علامة إشارية أو رمز سيميائي في الوصف والتصوير، فإن هذه الألفاظ دخلت دائرة المثل وأبواب التغليب.

أما المثل فقد ارتبط بألفاظ الألوان؛ نظراً لدور اللون الإشاري حينا، والرمزي حينا آخر، الذي أعطى للون معنى عرفياً نقله إلى دائرة المثل. فعلى سبيل المثال لا الحصر اللون الأبيض في قولهم: "إنّما أكلت يومَ أُكل الثور الأبيض"، فدلالته على الوضوح أدت دوراً هاماً في قصة المثل، وهي كما جاء في مجمع الأمثال: "يروى أن أمير المؤمنين علياً – رضي الله عنه – قال: مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة كن في أجمة أبيض وأسود وأحمر، ومعهن أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهنّ عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله صفت لنا الأجمة، فقالا: دونك فكله، فأكله، ثم قال للأحمر لوني على

لونك، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة، فقال: دونك، فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكلك لا محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثاً، فقال: افعل، فنادى: ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض (٤٨) ، فالقصة لهذا المثل يلعب فيها اللون دوراً مهماً في مستويات متعددة، حيث كانت دلالة الوضوح للون الأبيض الحجة الأولى للقضاء عليه، وتشابه ألوان البقية حجة نجاتهما المزعومة، ثم كان للون الأبيض بدلالة الوضوح رمزاً للقضاء على الأبرز، ولا يعني نجاة البقية، وكأن فيها إشارة لبداية النهاية، وقولهم: أشد حمرة من بنت المطر (٤٩) في وصف اللون لا أكثر، أما "لفلان كحل ولفلان سواد" فيُراد به كثرة المال، يعني أن كثرته تمنع حصره وعده، كما أن السواد يمنع من إدراك الشيء وحقيقته " (٥٠) .

وقولهم: "هو أزرق العين" يضرب دليلاً على البغض، "قال الأصمعي: هو من صفات الأعداء، وكذلك هو أسود الكبد، وصُهْبُ السَّبَال، قال: معنى كله للعداوة، وليس يُراد به نعوت الرجال، ولا أدري لعل أصله من النعت" (٥١). في هذا النص إشارة إلى رحلة لفظ اللون من الاستعمال في اللغة حتى دخوله دائرة المثل مرورا بالدور الإشاري لصفة اللون .

وارتباط الألوان بدلالات رمزية أدخلها في تكوين عبارات تدل على تلك الدلالات، فاستخدام البياض للمدح بالكرم، ونقاء العرض من العيوب، ولارتباطه بالضوء، وبياض النهار استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك، فقالوا: كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد، وأطلقوا على الحنطة والشمس، اسم البيضاء كما أطلقوه على الفضة والسيف، أمَّا الذهب فسُمي الأصفر، وارتبط الأحمر عند العرب بالمشقة، فقالوا: موت أحمر، وحمراء النعم؛ لكونها إشارة إلى الندرة، ويقال: سنة حمراء (٥٢).

والتداخل أمر وارد بين الألفاظ الدالة على الألوان المتجاورة في المجموعات اللونية، مثل الأحمر مع البرتقالي أو الأصفر، ومثل الأصفر مع الأخضر، والأخضر مع الأزرق، أما التداخل بين الألوان المتباعدة، مثل الأحمر مع الأزرق، فلم يجد الباحثون مثالاً واقعياً له [٥٣]، ما يؤكد اعتباطية العلاقة بين اللون ومدلوله بوصفه علامة سيميائية بشكل عام، ولا ينفي وجود اعتباطية نسبية في الأحوال التي يؤدي فيها لفظ اللون أو لفظ صفته دورا رمزيا .

وما ورد في القرآن من صفات الألوان رغم قلته فهو واضح محدد، وبعيد عن تداخل الألوان وصفاتها، قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ البقرة: ٦٩، فقوله: ﴿ فَاقِعٌ ﴾ صفة للون الأصفر تعني أنه صاف، ناصع اللون، صادق الصفرة [٥٤]، فصفة البقرة التي أمروا بذبحها أنها صفراء صافية اللون ناصعة الصفرة، والآية بعدها تأكيد لهذا المعنى، يقول تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ البقرة:٧١.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الرحمن: ٣٧، أما قوله: ﴿وَرْدَةً﴾، فتعني صفة السماء إذا احمرت احمراراً كالورد أمارة للقيامة' [٥٥] وقوله: ﴿ كَالدِّهَانِ﴾ وصف لتلك الحمرة التي تغيّر لون السماء فقيل: إنه يعني حمرة خالصة مشرقة [٥٦].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر: ٢٧، غرابيب صفة للسواد ولكن قدمت عليه، وجُعل السواد صفة للغرابيب، وهو وصف لشدة السواد، كأنه مشتق من لون الغراب [٥٧] .

ورد الوصف لشدة السواد بعد قوله: ﴿ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ وبعد ذكر ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ لتؤدي دلالة اللون دوراً تقابلياً ؛ فالأبيض والأحمر وما يتدرج منهما في ناحية، والأسود شديد السواد في ناحية أخرى. ولهذا التقابل وظيفة تصويرية لا يمكن الاستغناء عنها لوصف المشهد، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ(٤)فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ(٥)﴾ الأعلى: ٤ – ٥، فجعل المرعى غثاء وهو ما جف من النبات ويبس فطارت به الريح وعنى به أنه جعله هشيماً يابساً متغيراً إلى الحوة، وهي السواد من الخضرة، من شدة اليبس، وقد يكون معناه: أخرج المرعى أحوى؛ أي أخضر فجعله غثاء بعد خضرته فيكون مؤخراً معناه التقدم [٥٨]، الخضرة والسواد لونان بينهما مجال من مجالات التداخل اللوني، يقول تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ(٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤)﴾ الرحمن: ٦٢ – ٦٤، مدهامتان يعني خضراوان من الري ناعمتان اشتدت خضرتهما حتى كادتا أن تكونا سوداوين[٥٩]، فالوصف في هذه الآية يضيف بعداً دلالياً يقوم فيه وصف اللون بدور رمزي يتجاوز الوصف الشكلي إلى الحقائق العلمية.

**

الخاتمة

الإدراك الحسي للون يتصل بظواهر ثلاث: ظاهرة فيزيائية، وظاهرة فيزيولوجية، وظاهرة نفسية، تحيل بطبيعة الحال إلى اللغة، والعلاقة بين اللغة واللون هي بعض من العلاقة بين اللغة والفكر، وعلى هذا فإن الألفاظ الدالة على اللون تعكس الفكر الإنساني في مراحل متعددة، وألفاظ الألوان في العربية كثيرة، منها ما تضمه المعاجم الشاملة، أو معاجم الموضوعات أو في كتب اللغة، كما عنيت بها كتب التفسير، وغريب القرآن، وهي جزء من تكوين الأمثال والعبارات الجارية مجرى المثل.

تقوم الدراسة الحالية على أسس علم العلامات أو السيمياء أو السيميولوجيا بوصفه مجالا معرفيا ينتمي لعلم اللسانيات، وتدرس الألفاظ الدالة على أسماء الألوان وصفاتها من حيث كونها عناصر لغوية، تحكمها علاقات صرفية في اتجاه أفقي، ويعني به العلاقات السياقية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تناول مفهوم سيميائي محدد ومحاولة تطبيقه على نص تناوبت عليه الشروح والتفاسير، بحيث يُدرس من وجهة علمية مختلفة، على وعي بمنهجية البحث في السيميائيات من جهة، وما يتناسب مع خصوصية اللفظ القرآني من جهة أخرى، والوقوف على مسألة مهمة في البحث السيميائي، وهي التمييز بين مفهومي الرمز والإشارة وتطبيقاتها

وبعد تتبع ألفاظ الألوان في القرآن يظهر تردد كلمة (لون) بدلالتين، هما تحديد ماهية اللون على سبيل الحقيقة؛ كالأصفر والأحمر والأبيض وغيرها، ودلالة على التنوع والاختلاف في معرض إثبات، ورد من ألفاظ الألوان المختلفة في القرآن الكريم: الأسود، الأبيض، الأصفر، الأخضر، الأحمر، الأزرق، وأضافت ألفاظ صفات الألوان درجة لونية مختلفة لهذه الألوان، وهي تؤدي دوراً

تقابلياً دلالياً في القرآن الكريم، سواء أكان بين لونين أم بين مجموعتين من الألوان، تارة على أنها رمز لغوي يمكن تتبع العلاقة السببية فيه من داخل وخارج النص القرآني، أو بوصفها إشارة سيميائية تغيب عنها السببية بشكل تام، في كل هذا لا تخفى أهمية الدرس اللغوي الحديث في مباحث القرآن عامة، والتفسير بالمأثور خاصة .

**

الإحالات

١- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، في ضوء المصادر الأصول، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٧، ص٢٥٨ .

٢- العلامة في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية، أحمد حساني، مركز الملك عبد الله لخدمة العربية، ط١، ٢٠١٥، ص٨٨ .

٣- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، في ضوء المصادر الأصول، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٧، ص ٢٣٤.

٤- العلامة في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية، أحمد حساني، مركز الملك عبد الله لخدمة العربية، ط١، ٢٠١٥، ص ٢١.

٥- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، في ضوء المصادر الأصول، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٧، ص٢٣٨ .

٦- العلامة في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية، أحمد حساني، مركز الملك عبد الله لخدمة العربية، ط١، ٢٠١٥، ص٢٢ .

٧- العلامة في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية، أحمد حساني، مركز الملك عبد الله لخدمة العربية، ط١، ٢٠١٥، ص٢٦.

٨- العلامتية أو علم العلامات، بين سوسير وبيرس، عبد الرحمن أبو علي، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب .

٩- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، في ضوء المصادر الأصول، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٧، ص٢٢٥-٢٥٩.

١٠- اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، في ضوء المصادر الأصول، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٧، ص٢٧٦-٢٨٣.

١١– الرمز والعلامة والإشارة: المفاهيم والمجالات، كعوان محمد، الملتقى الوطني الرابع: السيمياء والنص الأدبي، المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة.

١٢– اللون وأبعاده في المعلقات، ص ١٢ ، خليدة سرارية، جامعة بسكرة.

١٣– الألوان تصنيفها ومصادرها، رمزيتها ودلالاتها، كلود عبيد، ص١٥.

١٤– سيميائية التوظيف اللوني في شعر كعب بن زهير، مراد بوزكو، ص ١٤٩.

١٥– ينظر: اللغة والسلوك، إدجر. س. بلوم، ص ٦٦٤.

١٦– ينظر: في اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص ٢٠ – ٢٢.

١٧– المرجع السابق ، ٣٥ – ٣٦ .

١٨– الملمع، ص ٨.

١٩– فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، ١/١١٤ – ١٣، ١/١٢٩.

٢٠– المخصص، ابن سيده، ٢/١٠٦.

٢١– جمهرة اللغة، ٢/٩٨٨، تهذيب اللغة، ٤/٣٢٢٢، الصحاح، ٦/٢١٩٦، لسان العرب ١٣/٣٥٩ القاموس المحيط، ١٢٣٢، عمدة الحفاظ، ٤٠/٦٠.

٢٢– مقاييس اللغة ، ص ٩٠٩.

٢٣– المنصف في التصريف، ١/٩١، ابن جني.

٢٤– شرح شافية ابن الحاجب، ١/١٠٧، للرضي الاستراباذي.

٢٥– مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني ص ٧٥١٠ .

٢٦– اللغة واللون، ص ٢٦٠، أحمد مختار عمر.

٢٧– عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ،٤٠/٦٠، السمين الحلبي.

٢٨– ينظر في: شرح كافية ابن الحاجب، للرضي الاستراباذي، ٣٠/٥١٥، القاموس المحيط، ص ٦٣٨، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن، د. فريد السليم .

٢٩-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٠٠/٤ ، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٥٢ .

٣٠- الموجز في قواعد اللغة العربية، ص ١٣٠.

٣١- المقتضب، للمبرد، ٧٦/١.

٣٢- أبنية الأفعال، علاقاتها ودلالتها، إبراهيم الشمسان، ص ٢٦ .

٣٣- اللغة واللون ص ٥٩.

٣٤- تفسير الطبري، ٢٥١/٣ .

٣٥- لسان العرب، ١٨٩/٥.تفسير الطبري ٥٦٦/١٧، ٢٤٣/٢٨.

٣٦- تفسير الطبري، ٢٥٥/١٤.

٣٧- المرجع السابق، ٣٩٧/١٣.

٣٨- المرجع السابق، ٦٦٧/٥.

٣٩- التقابل الدلالي، د. نوال الحلوة .

٤٠- تفسير الطبري ٦٠٥/٢٣، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٠٢، ٤٨٧، مجاز القرآن، لأبي عبيدة ٢٨١/٢، عمدة الحفاظ ٣٩٥/٢.

٤١- ينظر في: تفسير الطبري، ٩٤/٢، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٨٧، مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ٤٤/١، عمدة الحفاظ، للسمين الحلبي، ٣٩٥/٢، ٣٩٦.

٤٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٧٨/٥، تفسير الطبري، ٤١٦/٢٢.

٤٣- تفسير الطبري، ١٨٨/٢٠.

٤٤- اللون ودلالته في القرآن، نجاح المرازقة، ص٨٤.

٤٥- تفسير الطبري، ٢٥٥/١٥.

٤٦– تفسير الطبري ١٦١/١٦، مفردات ألفاظ القران، ٣٧٩، عمدة الحفاظ، ١٥٧/٢.

٤٧– ينظر في: الألوان في القرآن رؤية فنية ومدلول، د. أشرف عبد العزيز.

٤٨– مجمع الأمثال للميداني، ٢٥/١.

٤٩– المرجع السابق.

٥٠– مجمع الأمثال، ٣٨٠/١ .

٥١– مجمع الأمثال، ١٩١/٢.

٥٢– مجمع الأمثال، ٣٨٥/٢.

٥٣– اللغة واللون، ص٢٤ .

٥٤– مقاييس اللغة، ص ٧٩٥، لسان العرب، ٢٠٨/١١، مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٦٤٢، القاموس المحيط، ص ٧٤٧.

٥٥– مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٦٥.

٥٦– تفسير الطبري، ٢٢٩/٢٢، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٢.

٥٧– تفسير الطبري، ٣٦٣/١٩، لسان العرب، ٢٧/١١.

٥٨– لسان العرب، ٢٨١/٤، تفسير الطبري ٣١٣/٢٤، مفردات ألفاظ القرآن ص٢٧١.

٥٩– تفسير الطبري، ٢٥٨/٢٢، مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٢٠، مقاييس اللغة، ص٢٤٩، مجمع الأمثال، للميداني، ١٩٠/٢.

**

المراجع

١- ابن جني، المنصف في التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ.

٢- ابن حزم، طوق الحمامة، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية.

٣- ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٤- ابن فارس، حمد، مقاييس اللغة، دار إحياء التراث، ١٤٢٩هـ.

٥- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر .

٦- أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي.

٧- أبو علي، عبد الرحمن، العلامتية أو علم العلامات، بين سوسير وبيرس، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب.

٨- الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩- الاستراباذي، الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.

١٠- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.

١١- الأفغاني، سعيد، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر.

١٢- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ.

١٣– النمري، الملمع، تحقيق: وجيهة أحمد السطل، مطبعة زيد بن ثابت.

١٤– الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٥– الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

١٦– الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٧– الحلوة، نوال، التقابل الدلالي مجلة علوم اللغة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٨– السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مراجعة: علاء، السعيد، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٥هـ.

١٩– السليم، فريد، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن، دار ابن الجوزي.

٢٠– السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

٢١– بوزكو، زهير مراد، سيميائية التوظيف اللوني في شعر كعب بن زهير، جامعة جيجل الجزائر، من مقال نشر في العدد ١٧ عام ٢٠١٦م، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية.

٢٢– حساني، أحمد، العلامة في التراث اللساني العربي، قراءة لسانية وسيميائية، مركز الملك عبد الله لخدمة العربية، ط١.

٢٣– سرارية، خليدة، اللون وأبعاده في المعلقات، جامعة بسكرة.

٢٤– عبد العزيز، أشرف، الألوان في القرآن رؤية فنية ومدلول، كلية التربية، جامعة قناة السويس.

٢٥- عبيد، كلود، الألوان تصنيفها ومصادرها، رمزيتها ودلالاتها، مجد المؤسسة الجامعية، ٢٠١٣م.
٢٦- السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ السمين الحلبي، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٧- عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، عالم الكتب، ٢٠٠٩ .
٢٨- غلفان، مصطفى، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١.
٢٩- للفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
٣٠- اللون ودلالته في القرآن، نجاح المرازقة، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.
٣١- المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب.
٣٢- محمد، كعوان، الرمز والعلامة والإشارة: المفاهيم والمجالات، الملتقى الوطني الرابع: السيمياء والنص الأدبي، المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة.

* * *